آثار الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن يحيى المعلمي
(١٣)



مطبوعات المجمع

الأنوار الكاشفة

لما في كتاب
«أضواء على السنة»
من الزلل والتضليل والمجازفة

تأليف
الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني
١٣١٢هـ - ١٣٨٦هـ

تحقيق
علي بن محمد العمران

وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة
بكر بن عبد الله أبو زيد
(رحمه الله تعالى)

تمويل
مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

راجع هذا الجزء

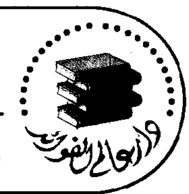
مُحَمَّد أجمَل الإصلَاحِي

عادل بن عَبْد الشّكُور الزّرقي



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ



دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع
مكة المكرمة ـ هاتف ٥٤٧٣١٦٦ - ٥٣٥٣٥٩٠ فاكس ٥٤٥٧٦٠٦

الصف والإخراج دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع



مقدمة التحقيق

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذا كتاب «الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة» للشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي رحمه الله. وواضح من عنوانه أنه نقضٌ لكتاب «أضواء على السنة المحمّدية» لمحمود أبو رية.

وخلاصة كتاب أبي رية: توجيه جملة من الطعون والشبهات إلى السنة النبوية والعمل بها، وإلى علم الحديث وعلمائه، وإلى رواة الحديث وحَمَلته، بل وإلى طائفة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين! وخصّ منهم بالطعن راويةَ الإسلام وحافظَ سنة النبي عليه السلام: أبا هريرة رضي الله عنه، ولم يكتفِ بالطعن بل زاد إليه السفاهةَ والتهكّمَ والتجنّي(١).

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشية «المسند»: (٦/ ٥٢٢): «وقد لهج أعداء الإسلام في عصرنا وشغفوا بالطعن في أبي هريرة، وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته، وما إلى ذلك أرادوا، وإنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس في الإسلام تبعًا لسادتهم المبشرين، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن أو الأخذ بما صح من الحديث - في رأيهم - وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم، وما يتبعون من شعائر أوربا وشرائعها».

ولـن أكـشف سِرًّا إذا قلـت: إن أبـا ريـة لم يُـضف جديـدًا إلى البحـث العلمـي، ولا إلى أصـل الـشُّبَه والطعـون التـي يـذكرها الطـاعنون في الـسنة النبوية وحَمَلَتها، بل كان في حقيقة أمره مِن مستنقع المستشرقين وأضرابهـم يمتح، وعن مائهم الآسن يصدر! ولـولا مـا مَهَدوه لـه لَـما راح أبـو ريّـة ولا جاء!

= مع ذلـك فقـد امتـاز كتابـه بـأمور فـاق بهـا مَـن تقدّمـه مـن الطـاعنين، يجمعها: «ضعف الوازع الديني والأخلاقي والعلمـي»! وتفـصيلها: الـسفاهة والتجنّي، والتهوّر والمجازفة. مقدّمًا تلك النقائص في ثوب أدبيّ جميل!

هذا هو جديد أبي رية في كتابه ـ وبئس ما جـدّد ـ، فـما كـان غرضـه منـه وما هـو الـدافع لانتهاجـه؟ أقـول: أمـا الـسفاهة... وأخواتهـا فلِغَـرَضٍ أنـه قـد انتهـى مـن إضـعاف الـسنة وضعـضعتها ـ زعـم ـ فـما بقـي إلا الـتهكّم بهـا وبحَمَلتها؛ فيجرؤ من يقف على كتابه على نقد السنة مهما كانـت قـوّةُ ثبوتهـا. وأما الأسلوب الأدبي فلتغرير القارئ وصرفه عـن ملاحظـة سـوء كتابـه، فهـو كمن يسقيك سمًّا في زجاجة فاخرة!

وقد عَلِم الناسُ ـ بحمد الله ـ منذ أن صدر كتاب أبي رية أن غرضـه منـه أمـر واحد هو (الطعن في السنة النبوية وحَمَلَتها)! وقد جهد في حجـب هـذه النتيجـة المكشوفة تارة في المقدمة، وتـارة في الخاتمـة، وأخيرًا بـأن كتـب عـلى غـلاف كتابه: (دفاع عن الحديث)(١)! فما أغنته محاولاته تلك وما صدّقه أحد(٢)؟

---

(١) كتب ذلك في الطبعات اللاحقة، وكان قد كتب على لـوح الطبعـة الأولى: «دراسـة»! فما صدّقه أحد في عبارته الأولى، فغيّرها، ولن يصدّقه أحد في الثانية.

(٢) إلا الرافضة فقد صدقوه وأثنوا عليه ثناءً بالغًا وعلى كتابه! فهنيئًا له تصديق الكذوب!

فَعلَ أبو رية تلك الشناعات إرضاء لرَغَبات مَن وَجَّه إليهم عملَه هذا؟ فقد قال في ختام مقدمته: «وإني لأتوجّه بعملي هذا ... إلى المثقفين من المسلمين خاصة، وإلى المهتمين بالدراسات الدينية عامة»(١).

وانظر بمَ علل توجيهه إليهم قال: «ذلك بأن هؤلاء وهؤلاء الذين يعرفون قدرَه. واللهَ أدعو أن يجدوا فيه جميعًا ما يرضيهم ويرضي العلم والحق معهم». فالمستشرقون وأتباعهم هم فقط من سيَقْدُر كتاب أبي رية قدرَه... وهم فقط من يحرص أبو ريّة أن ترضيهم نتائجُ كتابه...! ولن ترضى اليهودُ ولا النصارى عن أحدٍ حتى يتّبع مِلّتهم كما أخبر الله في كتابه(٢).

ولئن غابت عنّا أمور عن أبي رية ودوافعه...فلن تغيب عنّا علاقاته الحميمة، وصِلاته المريبة بالرافضة، الذين وجدوا فيه مطيّة طيّعةً لخدمة مآربهم وأغراضهم؛ من الطعن في الصحابة نَقَلَة الشريعة؛ للتوصل إلى الطعن في الدين نفسه، كما سيأتي شرح ذلك في ترجمة أبي رية. وهو ما فَطَن له الشيخ المعلمي فأشار إليه بقوله: «وطائفة لا يرضاها ولكنه رأى أنّ في كلامه ما يعجبها فراح يتملّقها في مواضع؛ رجاء أن يروج لديها كتابه كما راج لديها كتاب فلان»(٣).

---

(١) علق الشيخ المعلمي على هذا بقوله: «يعني المستشرقين من اليهود والنصارى والملحدين». ولأجل أن هذا كان قصده اضطرّ لتغييره في الطبعات اللاحقة إلى «بالدراسات الإسلامية».

(٢) سورة البقرة آية ١٢٠.

(٣) «الأنوار الكاشفة» (ص١٨).

أقول: لعل الشيخ يقصد بـ (فلان) طه حسين في كتابه «الفتنة الكبرى» فقد أساء الأدب إلى بعض الصحابة، وأنكر وجود عبد الله بن سبأ اليهودي. وله آراء أخرى =

قلت: وقول المؤلف: «لا يرضاها» إحسان للظن بأبي رية، وقد ثبت أنه يرضاها وترضاه، وبينه وبين شيوخها صلات حميمة وعلائق وشيجة ـ كما سيأتي شرحه ـ.

وليس وصف أبي ريّة بكونه تابعًا ذليلًا لهؤلاء وأولئك من الطاعنين في السنة= تجنّيًا عليه أو تقويلًا له ما لم يقله، بل هو الذي ألْـمَحَ إلى ذلك في أول كتابه كما مرّ[١]، وصرّح به في أثنائه، فأحال لاستكمال مباحثه إلى كتب اليهوديّ چولد زيهر وأشباهه[٢]! وقد حاول أن يغطّي تلك العلاقة، ويلبس ثوبَ النصيحة والغيرة على الحديث النبوي، لكن هيهات! فها هو قد أفصح عما كان يخفيه، وكل إناء ينضح بالذي فيه، وصَدَق المؤلف إذ ضرب لصنيعه مثلًا: «صَدَقني سِنَّ بَكْرِه»[٣].

كَتَب أبو رية كتابه هذا على حين فترةٍ من علماء الحديث ونُقّاده، وهجمة مَهُولة على علوم الدين وثوابت الشريعة[٤]، وما علم أن في الزوايا

= ذكرها بعض الرافضة عنه ـ إن صدقوا ـ. انظر «مع رجال الفكر في القاهرة»: (١/ ٢٧٦-٢٧٨) للرضوي.

(١) (ص٧)، كما في مقدمة الطبعة الأولى، واضطر لتغيير العبارة في الطبعات اللاحقة، لتضليل الناس وتنفيق كتابه، لكن هيهات!

(٢) انظر ص١٩٣ من كتابنا هذا.

(٣) الموضع السالف.

(٤) فكتَبَ مصطفى عبد الرّازق «الإسلام وأصول الحكم» في نفي وجوب التحاكم إلى الشريعة، وكتب قاسم أمين «المرأة الجديدة» و«تحرير المرأة» في تشريع التبرّج والسفور، وكتب طه حسين «في الشعر الجاهلي» وإنكار القصص القرآني... وكتب أبو رية كتابه هذا وكتابه «شيخ المضيرة...» في الطعن في السنة وأهلها.

خبايا، وأن الله تعالى قد أبقى للسنة والحديث خُدّامًا وحُرّاسًا، فقد نَهَض للردّ على أبي رية في كتابه هذا جمعٌ من أهل العلم بُعيد صدور كتابه بقليل، فكتب الشيخ محمد محمد أبو شهبة مقالات في «مجلة الأزهر»، ثم أصدر كتابًا سماه: «دفاع عن السنة والردّ على شبهات المستشرقين والكُتّاب المعاصرين»، وكتب الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة كتابًا سماه: «ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية»، وكتب الدكتور مصطفى السباعي ردًّا ضمن كتابه «السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي». وكتب الشيخ العلّامة عبد الرحمن المعلمي اليماني «الأنوار الكاشفة...» فكان ردّه واسطة العقد، ونهاية التحقيق.

وقد طبع كتابنا هذا «الأنوار الكاشفة...» في حياة مؤلِّفه سنة ١٣٧٨هـ في المطبعة السلفية ومكتبتها لمحبّ الدين الخطيب، وأعيد تصويره مرارًا. وها هو اليوم يظهر ضمن هذا المشروع المبارك في حلة قشيبة تليق به وبمكانة مؤلفه.

وقد قدمت بين يدي الكتاب عدة مباحث تتعلق بالتعريف بالكتاب وهي:

- اسم الكتاب.
- تاريخ تأليفه.
- سبب تأليفه.
- أهم الموضوعات التي ناقشها الكتاب.
- منهج المؤلّف وطريقته في المناقشة والتقرير.

- ترجمة محمود أبو رية (المردود عليه).

- طبعات الكتاب.

- مخطوطات الكتاب.

- منهج التحقيق.

ثم ختمناه بفهارس كاشفة متنوّعة، والحمد لله رب العالمين.

وكتب

علي بن محمد العمران

aliomran@hotmail.com

a-alemran تويتر

التعريف بالكتاب

* اسم الكتاب:

سمى المؤلف كتابه: «الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة». لم أقف على هذه التسمية بخط المؤلف في المسوّدة التي وقفت عليها، وغالب الظن أن يكون كتبه على ورقة العنوان في المبيّضة التي طبع الكتاب عنها، وقد طبع في حياته، فيبعد جدًّا أن يسمّى بغير ما سمّاه به مؤلفه. وللشيخ عادة في التسميات المسجوعة، مثل «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، و «إرشاد العامِه إلى الكذب وأحكامه» و«الاستبصار في نقد الأخبار» وغير ذلك.

* تاريخ تأليفه

نصّ المؤلّف على تاريخ تأليف كتابه في آخره قال: «انتهى ... جمع هذا الكتاب في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨».

أما بداية جمعه له وكم استغرق من الوقت؛ فيمكن أن نستدل عليه بالآتي: انتهى أبو رية من تأليف كتابه في الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧هـ، كما نص عليه في آخر مقدمته (ص١٥ - ط الأولى، ١٠ - ط السادسة). فيكون بين انتهاء أبي رية من تأليف كتابه وانتهاء الشيخ من ردّه سنة وشهر. ولو حسبنا المدة التي استغرقتها طباعةُ كتاب أبي رية، ثم وصوله من مصر إلى مكة، ثم تأليف الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة لجملة من التعليقات والملاحظات على كتاب أبي رية واطلاع الشيخ عليها بغرض التقديم لها (انظر المبحث الآتي)، ومن ثَمّ وقوفه على كتاب أبي رية. بعد

ذلك شَرَع الشيخُ في تأليف كتابه. فلا أظنّ الشيخ قد شرع في كتابه إلا بعد مضيّ بضعة أشهر على طباعة كتاب أبي رية، فعليه يكون الشيخ قد مكث في تأليفه نحو ثمانية أشهر أو أقل.

وهو وقت قياسيّ إذا ما اعتبرنا قيمة الكتاب العلمية وتحرير مسائله، وتتبّع أبي رية في جميع ما أورده من نقول وقضايا، والرجوع لجميع مصادره، مع عدم توفّر بعضها، وكتابة مسوّدته ثم تبييضها. مع اشتغال الشيخ بأعمال علميّة أخرى، وعمله الرسمي في مكتبة الحرم المكي الشريف.

* **سبب تأليفه:**

أبان المؤلف عن سبب تأليف كتابه في إحدى تعاليقه المخطوطة المدرجة تحت عنوان «الأنوار الكاشفة»: (الدفتر الثالث ص١) بقوله: «... فإن فضيلة أخي العلامة محمد عبد الرزاق حمزة كتب ـ وهو على فراش المرض عافاه الله ـ «مطالعات وملاحظات على كتاب ألّفه الأستاذ محمود أبو ريّة وسماه "أضواء على السنة المحمدية"».

فأرسل إليّ حضرة المحسن الكريم صاحب الفضيلة الشيخ محمد نصيف تلك الملاحظات، وتقدَّم إليَّ بأن أكتب كلمة تكون بمثابة مقدّمة، فاحتجتُ مع الاطلاع على الملاحظات أن أطالع كتاب أبي رية، فتبيّن لي أنّ استيفاء الكلام له وعليه يستدعي تأليفًا مستقلًّا، عسى أن يتيسّر لي فيما بعد..». وذكر قريبًا منه في الدفتر الرابع من المسوّدة. ثم كتب المؤلف في تلك الورقات ملاحظات على كتاب أبي رية.

ثم لمّا عَزَم على تأليف كتابه هذا كان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمه الله قد زاد في كتابه وتوسّع فيه، فلم يعُد مجرّد «مطالعات وملاحظات»

لكنه لم يكمُل. فذكر الشيخ المعلمي في صدر كتابه أنه استفاد منه، ووصفه في المقدّمة بكونه «ردًّا مبسوطًا لم يكمل حتى الآن». ومع ذلك فقد رأى المصنف أنه ينبغي له تأليف كتاب مفرد في الردّ، قال: «ورأيتُ من الحقّ عليَّ أن أضع رسالةً أسوقُ فيها القضايا التي ذكرها أبو رية، وأعقِّب كلّ قضية ببيان الحقّ فيها، متحرِّيًا إن شاء الله تعالى الحقّ، وأسأل الله التوفيق والتسديد ...»[1].

* منهج المؤلّف وطريقته في المناقشة والتقرير:

يمكن تلخيص معالم منهج المؤلف في هذا الكتاب في النقاط الآتية:

١- **التصدير والمقدمة**: كتب المؤلف تصديرًا في صفحة واحدة؛ أبان فيه عن تواضعه المعهود، وأنه كتب كتابه على عَجَل، وذَكَر مَن سبقه إلى الردّ وأنه استفاد منه، ومَن استحَثّه لإكمال الكتاب، ومَن أمدَّه ببعض المراجع أو مراجعة بعض النقول. ثم مقدمة قصيرة بين فيها وقوع كتاب أبي رية إليه، وعَلِمْنا في مبحث «سبب التأليف» كيف وقع إليه، ثم ذكر خلاصة كتاب أبي رية وأنه «تكميل للمطاعن في السنة»، وذكر كتاب الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بما سبق ذكره في سبب التأليف، وأنه من الحق عليه أن أن يفرد في الرد على أبي رية كتابًا يتعقّب قضاياه ببيان الحق فيها...

٢- **الترتيب**: جرى المؤلف في نقده للكتاب على ترتيب الكتاب المنقود وفصلًا فصلًا وبحثًا بحثًا من أول الكتاب إلى آخره، اللهم إلا في موضوعات قليلة، مثل عدالة الصحابة، فقد أخّر الكلامَ عليه مستوفى إلى آخر الكتاب (ص٣٦٥) حيث ذكر أبو رية فصلًا خاصًّا بذلك، فأخّره الشيخ

(١) «الأنوار الكاشفة» (ص٥).

إلى مكانه ورجع ينقل وينقد ما ذكره في أول الكتاب، وكذلك فَعَل في مواضع أخرى.

٣- **طريقته**: ينقل كلام أبي رية بحروفه بذكر رقم الصفحة من الطبعة الأولى لكتاب أبي رية، ثم يسوق كلامه موضعَ النقد بين قوسين صغيرين «». فأحيانًا يسوق موضع النقد فلا يتعدى كلمات، وأحيانًا يسوقه بطوله فيبلغ عشرة أسطر، وذلك بحسب مقتضى الحال. ثم يتعقبه بقوله: «**أقول**». وجرى على هذا من أول الكتاب إلى آخره.

٤- **منهجه**: نحا الشيخ في رده منحى علميًّا منضبطًا، مبتعدًا عن أسلوب الإنشاء والخطابة، فتتبّع كتاب أبي رية في نقوله وقضاياه؛ فإن نقل أبو رية من كتابٍ راجعه وتثبّت من نقله، فإن وجد النقل كما هو بيّن ثبوتَ النقل مِن عدمه وصحّته من ضعفه، فإن كان ثابتًا نظَرَ فيه نَظَرَ العالم المنصف المريد للحق، فنظر في النصوص النبوية نظرَ أهل العلم؛ وذلك بالقبول والعمل عند سلامتها من المعارض، وبالجمع والتوجيه عند وجود التعارض أو الإشكال. وتعامَلَ مع آثار السلف ونصوص العلماء بفهمها وتوجيهها بالنظر إلى سياقاتها ومناسباتها ومراد قائلها منها بتجرّد ونصَفَة.

أما إن تبيّن أنّ النصّ غير ثابت، فيبيّن موضع العلة فيه، وسبب التضعيف، ثم ردّه عليه، فإن كان له وجهٌ مِن الفهم يسوغ ذَكَرَه تنزّلًا منه على فرض الثبوت.

فإن لم يجد النقل كما هو، بيّن تصرُّف أبي ريّة إما بالحذف أو التدليس أو التصرُّف، أو عدم نقل التضعيف للخبر من المصدر المنقول منه. انظر (٢١٥، ٢١٦، ٢٥٤، ٣٧٣، ٤١١).

فإن لم يجد النقل أصلاً بيّن أنه لم يجده، فيبقى أمر الحكم عليه حتى الوجدان ـ وهذا نادر ـ. وقد يبحث عنه الشيخ في مظانه فيجده، فيصحّح الإحالة إلى مكانه. ثم ينظر فيه نظره السابق الذي شرحناه.

أما إذا لم يذكر أبو رية مصدر النقل؛ فهذه ـ بتتبّع المؤلف ـ حيلته في تدليس بلاياه، وأنه إن ذكر مصدرَه سيُفضَح بذكره، كما بيّنه الشيخ في مواضع (ص٢٤٦، ٢٤٢، ٢٥٨).

أما ما يذكره أبو رية من القضايا والمسائل والإشكالات، فينظر الشيخ في ذلك كلّه نظَرَ العالم المتبحِّر العارف، فيحلّلها ويدرسها دراسةً عميقة متأنّية، ثم يأتي بخلاصتها في أسطر معدودة، وقد يطيل النَّفَس بعض إطالةٍ إن اقتضى الأمر ذلك، وتلك مسائل معدودة، وأنا على يقين أن الشيخ مال إلى تلخيص القضايا حتى لا يطول الكتاب، وإلا فكثير من مباحثه وتحقيقاته التي ذكرها لم تتأتّ إلا بنَظَر طويل وتحقيق بالغ. فها هو الشيخ ص١٩٠ يحيل إلى بحث له طويل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[1] ثم يذكر خلاصته. وقال في موضع آخر (ص٢٣٠): «وشرح ذلك يطول».

وبعد، فإن للمؤلف في كتابه ـ كما عوّدنا ـ من التحقيقات والإشارات والفوائد ما لو وقعت لغيره لتبجّح بها في طول الكتاب وعرضه، وزَعَم وزَعَم، لكن الشيخ في تواضعه ورزانته نادر المثال. وتأمل قوله رحمه الله: «الباحث المتّزن الواثق بحجته هو الذي يترك الإعلان عن نفسه وعن كتابه

(١) وهذا البحث مضمّن في «رسائل التفسير» من هذه الموسوعة المباركة.

إلى الأدلة نفسها، ويَدَع للناس الحريّة التامة في موافقته أو مخالفته»[1].

*** أهم الموضوعات التي ناقشها الكتاب:**

- السنة ومكانتها من الدين.
- كتابة الحديث في العهد النبوي.
- هل نهى النبي ﷺ عن كتابة الحديث.
- الرد على نظرية «دين عام ودين خاص».
- الصحابة وروايتهم للحديث، وقضية تشديدهم في قبول الأخبار.
- الكذب على النبي ﷺ.
- الرواية بالمعنى.
- رواية الحديث ونقد الأئمة للرواة.
- الوضع وأسبابه.
- الإسرائيليات ووجودها في الحديث وردّ مزاعمَ لأبي رية فيها.
- تفنيد مكيدة مَهُولة حاول تمريرها والتدليس بها.
- ردّ مزاعم له بشأن المسيحيات في الحديث.
- الدفاع عن أبي هريرة رضي الله عنه (ص ١٩٠-٣٢٠) وهو أطول فصل في الكتاب.
- أحاديث مشكلة والجواب عنها.

---

(١) «الأنوار الكاشفة»: (الدفتر الرابع ص٣-مخ).

- تدوين الحديث وأقسام الخبر.

- الكلام على «الموطأ»، و«البخاري».

- المحدثون وعنايتهم بنقد المتن.

- الصحابة وعدالتهم.

- درجات الصحابة.

- القواعد النظرية القديمة والحديثة.

- طلب الحديث بعد فقهه.

- خاتمة أبي رية وفيها قضايا حديثية عدة.

*** ترجمة محمود أبو رية[1] (المردود عليه) (١٨٨٩- ١٩٧٠):**

نستطيع القول إن أبا رية لم يترجمه أحد، فقد جهِدْتُ وجَهِد الباحثون قبلي للوقوف على ترجمة له أو تعريف به فلم نظفر بكبير شيء، عدا معلومات متناثرة هنا وهناك، فكأنما تواصى الناسُ على إخمال ذكره[2]! ولولا أنه يُعاد ذكرُه عند الطاعنين في السنة والحديث مستشهدين بكتابه،

---

(١) تنبيه: هناك شخصية أخرى بالاسم نفسه «محمود أبو رية» وهو داعية مصريّ من الإخوان المسلمين (ت٢٠٠٤)، وقد وقع خلطٌ بين الاثنين من بعض الكتّاب، وعليه جرى التنبيه.

(٢) حتى أصدقاؤه ومعارفه ممن كتب في تراجم المعاصرين! وقد كنت كتبت رسالة إلى الأستاذ وديع فلسطين، أطلب منه أن يكتب لي ما يعرفه عن أبي ريّة، فلم يصلني منه شيء حتى اللحظة، وكان قد ذَكَره في مواضع من كتابه «وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره» ووصفه بالصديق.

وعند المدافعين عنها نقضًا لكلامه= لكان نَسْيًا منسيًّا! وهذا من عجيب صنع الله به!

غير أنه قد ذكره من لا يُفرَح بهم، من أعداء السنة وسُباب الصحابة، فذكروه وأشادوا به، وخلعوا عليه أفخم الألقاب، وسعوا في طباعة كتبه، وصارت بينه وبينهم صِلات حميمة ومودّة ورسائل خاصة. وأهمّ مَن ذَكَره منهم مرتضى الرضوي في كتابه «مع رجال الفكر في القاهرة»: (١/ ١٣٠-١٥٨)[١]. والكتاب عبارة عن ذكريات المؤلف بمن التقى بهم في القاهرة، وما دار بينهم من أحاديث وحوارات، وليست تراجم متكاملة. وسنذكر منه ومن غيره[٢] ما يفيد في التعريف بأبي رية.

اسمه: محمود أبو رية.

ولده في كفر المندره (مركز أجا) محافظة الدقهلية في ١٥ ديسمبر عام ١٨٨٩ م.

وتوفي في ١١ ديسمبر ١٩٧٠م بالجيزة.

عاش في بلدته عيشة جيدة الحال، إلى أن حلّت به وبأسرته سنة ١٩١٦م نكبةٌ مالية ذهبت بكل ما يملكون وساءت حاله جدًّا[٣]. وبقيت حاله في فاقة، وكان كثير الشكوى من حاله وتقلّب الدهر به[٤].

(١) أرشد إلى هذه الترجمة أخي الشيخ عبد الرحمن قائد.

(٢) ما كان من غيره ذكرتُ مصدره.

(٣) «رسائل الرافعي» (ص٢١).

(٤) المصدر نفسه (ص٢٣، ٣٤-٣٥).

انتسب إلى الأزهر في مقتبل عمره، لكنه لم يتجاوز المرحلة الثانوية الأزهرية مع محاولته أكثر من مرة، ثم عمل مصححًا للأخطاء المطبعية بجريدةٍ في بلده، ثم موظفًا في دائرة البلدية حتى أحيل إلى التقاعد(١).

انتقل إلى المنصورة في سنة ١٩٢٤م أو قبلها، ولم يأنس بها وكان يشكو من الوحشة فيها(٢).

وفي المنصورة تولى تحرير جريدة التوفيق، وكان يشارك في تحرير جريدة المنصورة، ويراسل جريدتي المقطم والسياسة(٣). ومع أنه قد تيسّرت أموره وحصّل وظيفة جديدة... فلم يكن راضيًا بالحال التي هو عليها(٤).

قضى أكثر أيام عمره في مدينة المنصورة حتى وفد إلى الجيزة عام ١٩٥٧م، وبقي فيها إلى حين وفاته.

بدأ محمود أبو رية حياته ملتمسًا التعرّف بأشهر أُدباء عصره وكُتّابهم، حتى اتصلت أسبابه بإمام الأدب مصطفى صادق الرافعي عن طريق المراسلة، وذلك من عام ١٩١٢م إلى عام ١٩٣٤م قبل وفاة الرافعي بثلاث سنين(٥).

---

(١) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام ص ٢١.

(٢) «رسائل الرافعي» (ص٩٤).

(٣) المصدر نفسه (ص٩٣).

(٤) المصدر نفسه (ص٩١، ١٠٧، ١١٠، ١١٣).

(٥) بلغ مجموع الرسائل التي وصلته من الرافعي حوالي ٣٥٠ رسالة. نشر منها أبو رية ٢٦٣ رسالة، ومن خلالها استفدنا هذه المعلومات المعزوّة إليها. وللرافعي اهتمام =

وواضح من رسائله إلى الرافعي أنه كان يسعى لأن يكون كاتبًا يملك ناصية الأدب، ففي كثير منها يسأله عن كتب الأدب وكيف قراءتها، وكتب النحو والمنطق والتصحيح اللغوي...[1].

بدأ أبو رية بالكتابة في الصحف والمجلات المعروفة في عصره، وبتلخيص بعض الكتب الأدبية، ككتاب الحيوان للجاحظ وبعض الكتب الأدبية[2].

وكان في أولى مقالاته مدافعًا عن الدين وعن البلدان الإسلامية، فمرَّة تراه يستنجد للحجاز ليهب المسلمون بتقديم يد المساعدة إليه، وإلى أهل الحرمين قبيل الحرب العالمية الثانية، في مقال بعنوان: ما يجب على المسلمين للحجاز[3].

ومرةً يدعو إلى تطهير التوحيد مما لصق به، وإخلاصه لله عز وجل في مقال بعنوان: تطهير العقائد أساس الإصلاح في البراء[4].

بل نجده أحد الذين تصدّوا للردّ على توفيق الحكيم في دعوته إلى توحيد الأديان.

= بالغ بما يَرِدُ إليه من الرسائل وبأصحابها، وله في ذلك طرائف. انظر «حياة الرافعي» (ص٢٥٠) للعريان.

(١) «رسائل الرافعي» (ص١٣، ١٥، ٤٠، ٢٨، ١٢٢).

(٢) المصدر نفسه (ص١١٥). ولم يحمد الرافعي تلخيصه وقال: إنه لم يحسن الاختيار.

(٣) مجلة الفتح: العدد ٥٢٤، ١٢ محرم ١٣٥٦ هـ، جـ ١١، ص ١٠٣٤.

(٤) مجلة الفتح: العدد ٥٤٣، ١٩ محرم ١٣٥٦هـ.

قد تعود بداية انحراف أبي رية عن السنة إلى عام ١٣٦٣هـ حيث نشاهده في «مجلة الفتح الإسلامية» وهو يدافع عن القرآن، لكنه في الوقت نفسه يغمز ويلمز السنة ضمنًا[١].

وبدا أكثرَ صراحة في نقد السنة الصحيحة والقدح فيها بعد ذلك؛ فكتب مقالًا في «مجلة الرسالة» في إنكار حديث سِحْر النبي ﷺ الوارد في الصحيح، وردّ عليه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

ثم وضَح انحرافه عن السنة بعد ذلك في مقال له في «مجلة الرسالة» عدد ٦٣٣ رمضان ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م بعنوان «الحديث المحمدي». ذَكَر فيه أن مقاله هذا خلاصة كتاب سيُنشر في هذا الخصوص. وقد رد على مقاله ذاك الدكتور محمد أبو شهبة في «مجلة الرسالة» نفسها بعد نحو شهرين عدد ٦٤٢ سنة ١٣٦٤هـ. ثم ردّ على الردّ أبو رية في العدد ٦٥٤ من المجلة نفسها[٢].

وبعد ذلك بنحو ثلاث عشرة سنة نَشَر أبو رية ما وَعَد به في كتاب بعنوان «أضواء على السنة المحمدية».

- **مؤلفاته:**

١- عليٌّ وما لقيه من أصحاب الرسول. مخطوط[٣].

٢- أضواء على السنة المحمدية. وهو الكتاب المردود عليه.

---

(١) مجلة الفتح: العدد ٥٤٦، ١٠ صفر ١٣٥٦هـ، جـ ١١، ص١١٠٠.

(٢) انظر «دفاع عن السنة» (ص٣٤) لأبي شهبة.

(٣) ذكره مرتضى الرضوي ونقل منه في كتابه «مع رجال الفكر»: (١/ ١٣٠- ١٥٨).

٣- أبو هريرة شيخ المضيرة. طبع.

٤- السيد البدوي. طبع.

٥- كتاب حياة القرى. طبع.

٦- صيحة جمال الدين الأفغاني. طبع.

٧- رسائل الرافعي. طبع.

٨- جمال الدين الأفغاني. طبع.

٩- دين الله واحد. طبع.

١٠- قصة الحديث المحمدي. طبع.

* وهذا سياق ما ذكره مرتضى الرضوي (شيعي اثنا عشري) من ذكريات مهمة مع «أبو ريّة»[١] قال:

«تعرفت إليه عام ١٩٥٨ م.... وتعرفت على الشيخ سليمان الوكيل صاحب مطبعة «دار التأليف». وقد عمل لنا الأخ حسين محمد كاظم ـ صاحب المكتب أو النادي ـ دعوة في مكتبه فدعاني، والشيخ سليمان الوكيل، والأستاذ محمد برهومة على طعام في ظهر يوم جمعة وجلس معنا، وقد أحضر لنا الطعام من أحد المطاعم القريبة لمحله وبعد أن فرغنا من تناول الطعام أحضر لنا الشاي، والقهوة، والكازوز، والشيشة «النركيله».

---

(١) في كتاب «مع رجال الفكر في القاهرة»: (١/ ١٣٠-١٥٨). وقد حذفت منه الاستطرادات التي لا تفيد شيئًا عن أبي رية. وحرصت على نقل كلامه بطوله؛ لأنه يكشف حقيقة كانت خفيّة في علاقته مع الرافضة وصلاته القوية بهم واحتفالهم به.

وبعده تكلم الشيخ سليمان الوكيل وقال: إن لي مطبعة وعندي كتب طبعتها ومستعد لطبع الكتب التي عندك. ثم قال: إن **العلامة الشيخ محمد أبو رية** له كتاب يطبعه الآن عندنا واسمه: «أضواء على السنة المحمدية»، وبلغه مجيئُك إلى القاهرة ويطلب فضيلته الاتصال بك[(١)]، فلو سمحت أن تزورنا في المطبعة، وفضيلته سوف يحضر في الصباح قبل الساعة العاشرة...

وعندما دخلت رأيت شيخًا وقورًا جالسًا عن يمينه فسلمت عليه فرد عليّ السلام، وأشار الشيخ سليمان صاحب المطبعة على الشيخ الوقور الجالس عن يمينه وقال: هذا هو الشيخ محمود أبو رية الذي حدّثتك عنه أمس.

فجلست إلى جنب فضيلته وحييته، فرحّب بي كثيرًا، وفتحت الحديث معه وقلت: يا مولانا الشيخ: بأيّ مذهب من المذاهب الأربعة متمسّك.

فأجاب: أنا مسلم أعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وأنا غير ملتزم بمذهب من هذه المذاهب الأربعة. وقال: **أنا أعلم من الشافعي، وأبي حنيفة!**[(٢)]

فسألته عن رأيه في الصحاح؟ **فقال: الصحاح صحاح عند أصحابها.**

فقلت: ما رأي سيادتكم في بعض الرواة المكثرين للحديث. فقال: تقصد زي من، مثل من؟

قلت: أبو هريرة.

فقال: أبو هريرة رجل وضّاع.

---

(١) أبو رية هو من سعى للتعرف بهذا الرافضي، وهو مِن قَبْله على علاقة حميمة بعبد الحسين شرف الدين كما سيقص خبرَه.

(٢) إن صدق هذا الرافضي في النقل، فإن الرافعي يقول لأبي رية في إحدى رسائله: «ليتك كنت مجذوبًا يا أبا رية ... ولكنك لا تصلح مجذوبًا ولا عاقلًا»! «رسائل الرافعي» (ص٧٧). أقول: وأين مثل الرافعي خبرةً بأبي رية!!

قلت: قد ألف الإمام شرف الدين العاملي كتابًا في حياة هذا الراوية المكثر وأسماه: (أبو هريرة)، فمد فضيلته يده إلى حقيبة كانت معه وأخرج منها كتاب: (أبو هريرة) الذي ألفه الإمام شرف الدين العاملي ، وكانت الطبعة الأولى طبعة صيدا - لبنان، وقال: هذا ما أهداه لي الإمام شرف الدين. فناوَلَني النسخة فأخذتها بيدي، فرأيتُ الإهداء بخط الإمام شرف الدين على الكتاب وفيه ما يشعر بجهاده وعلمه وإكباره(١).

ثم أخبرته بوفاة ... - شرف الدين - قبل أسبوع في يوم الاثنين الماضي الموافق ٣٠/ ١٢/ ١٩٥٧م الموافق ٨/ ٦/ ١٣٧٧هـ... فتأثر كثيرًا وقال: كان في نيتي إهداء كتاب «الأضواء» له عند إتمامه من الطبع.

ثم طلب فضيلته الشيخ سليمان - صاحب المطبعة - وقال: هات الملازم المطبوعة من كتاب «الأضواء»، فجاءني بها الشيخ سليمان وكانت آنذاك خمسة عشر ملزمة ولغاية (٢٤٠) صفحة مطبوعة، فأخذتها بيدي وتصفحتها حتى وصلت إلى عنوان: (أحاديث المهدي)، فرأيت فضيلته ينقل عن ابن خَلْدون البربري ويقول: وقد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي وفندها كلها، فقلت: يا مولانا الشيخ، إن البربري هذا ابن خلدون من ألدّ أعداء الشيعة وخصومهم ولا يصح نقل شيء من الخصم وكلامه ليس بحجة. وإذا كنتم بحاجة إلى (أحاديث في المهدي) فإن معي كتاب (منتخب الأثر) في الإمام الثاني عشر لفضيلة العلامة الكبير الشيخ لطف الله الصافي وفيه ينقل عن أعلام السنة و محدثيهم، وإني مستعدّ لتقديمه لفضيلتكم حيث أنه ملمّ بهذا الموضوع.

وبعد أيام اتصلت به هاتفيًا وحددت الموعد معه وقصدت منزله وصحبت معي كتاب: (منتخب الأثر) وأهديته له، وجُلْت معه ساعة وانصرفت.

---

(١) هذا يعطينا سببًا من أسباب انحرافات أبي رية عن السنة وطعنه في رواتها وأهلها!

وبعد مدة اتصلت به هاتفيًّا للاجتماع به في منزله... وتذاكرنا حول (أحاديث المهدي) وكتاب (منتخب الأثر) وكان قد أُعجب به كثيرًا واستفاد منه.

ثم طلبت من فضيلته أن يكتب للسيد العسكري حول هذا الموضوع ...

ثم قلت لفضيلته: السيد العسكري من كبار المؤلفين في العراق، ومعروف لدى كبار علماء النجف الأشرف، ويمكنكم مراسلته وأخذ ما يخص هذا الموضوع منه، فراجعه فضيلته بعد ذلك وذكر هذا في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» في الطبعة الثالثة التي طبعتها دار المعارف بمصر تحت إشرافه.

...ثم تحدثت عن المذاهب الأربعة وقلت: إن هذه المذاهب: هي التي احتضنتها السياسة، وروّجتها تجاه الإمام الصادق من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وقلت: إن المستشرقين الذين طعنوا في الإسلام استندوا إلى الخرافات والإسرائيليات التي وجدوها في كتب أهل السنة.

فقال: أنا معك.

وفي إحدى رحلاتي إلى القاهرة قصدت داره العامرة وقد حملت له مجموعة من الكتب كنت قد صحبتها وحملتها معي من العراق، ومن بينها: (أحاديث عائشة) لمؤلف كتاب (عبد الله بن سبأ) ـ السيد العسكري ـ وطلبت منه أن يكتب رأيه حول هذا الكتاب الخالد. وهذا نص ما كتبه:

«أحاديث أم المؤمنين عائشة يحسب العامة وأشباه العامة من الذين يزعمون أنهم على شئ من العلم أن التاريخ الإسلامي وبخاصة في (دوره الأول) قد جاء صحيحًا لا ريب فيه، وأن رجاله جميعًا ثقات لا يكذبون - وهو من أجل ذلك يصدقون كل خبر جاء من هذه الفترة، ويشدون أيديهم على تلك

الأحاديث التي شحنت بها الكتب المشهورة في الحديث. تلك التي حملت الطِّمّ والرِّم، والغث والسمين، والصحيح القليل، والموضوع الكثير. وقد بلغ من ثقتهم بأحاديث هذه الكتب، أن من يشك في حديث منها يعد في رأيهم فاسقًا!! وإذا كان الله قد آتاهم عقولا لا ليفهموا بها، وفهوما لا يَزِنون بها، فإنهم يعطلون هذه المواهب استمساكا بالتقليد الأعمى، والتعبد لمن سلف! وإذا أنت بصَّرتهم بالحق، وبينت لهم المحجة الواضحة، لووا رؤوسهم، وأصروا على معتقداتهم واستكبروا استكبارا. وليتك تسلم من ألسنتهم، بل يرمونك بشتائمهم، وسبابهم، ويسلقونك بألسنتهم، وقد بلوت ذلك منهم عندما أخرجت كتابي: (أضواء على السنة المحمدية) الذي أرَّخت فيه الحديث، وكشفت كيف روي وما شابه رواية من الموضوعات ومتى دُوّن وما إلى ذلك ما يجب بيانه - فإنهم ما كادوا يقرأونه حتى هبَّت عليَّ أعاصير الشتائم والسباب من كل ناحية، من مصر والحجاز والشام! فلم أبال كل ذلك بل استعذت به لأني على سبيل الحق أسير، فلا يهمني شيء يلاقيني في هذا السبيل مهما كان. ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يقفون في سبيل الحق حتى لا يظهر. ويمنعون ضوء العلم الصحيح أن يبدو، لا يعلمون مقدار ما يجنون من وراء جمودهم، وأن ضرر هذا الجمود لا يقف عند الجناية على العلم والدين فحسب ؟ بل يمتد إلى ما وراء ذلك.

فإن الناشئين من المسلمين وغير المسلمين الذين بلغوا بدراستهم الجامعية العلمية إلى أنهم لا يفهمون إلا لقبولهم، وما وصلوا إليه بعلمهم، قد انصرفوا عن الإسلام لما بدى لهم على هذه الصورة المشوهة التي عارضها هؤلاء الشيوخ عليهم. من أجل ذلك كله كان من الواجب الحتم على العلماء المحققين الذين حرروا أعناقهم من أغلال التقليد، وعقولهم من رق التعبد للسلف، أن يشمروا عن سواعد الجد، ويتناولوا تاريخنا بالتمحيص، وأن يخلصوه من شوائب الباطل والعصبيات، ولا يخشون في ذلك لومة لائم.

وإني ليسرني كل السرور أن أشيد بفضل عالم محقق كبير من علماء العراق قد نهض ليؤدي ما عليه نحو الدين والعلم فأخرج للناس كتبا نفيسة كانت كالمرآة الصافية التي يرى فيها المسلمون وغير المسلمين تاريخ الإسلام على أجمل صوره في أول أدواره، ذلكم هو الأستاذ (مرتضى العسكري) فقد أخرج لنا من قبل: كتاب (عبد الله بن سبأ) أثبت فيه بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، أن هذا الاسم لم يكن له وجود وأن السياسة «لعنها الله» هي التي ابتدعت هذا الاسم لتجعله من أسباب تشويه وجه التاريخ، وبيَّن أن شيخ المؤرخين في نظر العلماء وهو الطبري قد جعل جل اعتماده في تاريخه ورواياته على رجل أجمع الناس على تكذيبه. ومن الغريب أن جميع المؤرخين الذين جاؤوا بعد الطبري قد نقلوا عن ابن جرير كل رواياته بغير تمحيص ولا نقد، وهذا الرجل الكذاب هو: سيف بن عمر التميمي. وأردف العلامة العسكري هذا الكتاب النفيس بكتاب آخر أكثر منه نفاسة هو كتاب: (أحاديث عائشة) وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ هذه السيدة لا كما جاء من ناحية السياسة والهوى والعصبية، ولكن من أفق الحقيقة التي لا ريب فيها، وكتبه بقلم نزيه يرعى حرمة العلم وحق الدين لا يخشى في الله لومة لائم.

أشار الأستاذ في تمهيده لكتابه إلى ما في الأحاديث التي نسبت إلى النبي ﷺ من اختلاف بين حديث وآخر، وبين بعض تلك الأحاديث، وآي القرآن فما كان مثار الطعن والنقد إلى النبي من أعداء الإسلام. ثم بيَّن أن هذه الأحاديث إن هي إلا مجموعات مختلفة رويت عن رواة مختلفين، وعلى الباحث العالم النزيه أن يقوم بتصنيفها نسبة إلى رواتها. ثم يدرس أحاديث كل منهم على حدة. وبخاصة أحاديث الرواة المكثرين أمثال: عائشة، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، مع دراسة حياة راويها، وبيئته وظروفه، ثم مضى يقول: إن التاريخ الإسلامي منذ بعثة الرسول حتى بيعة يزيد بن معاوية لا يفهم صحيحا إلا بعد دراسة أحاديث أم المؤمنين (دراسة موضوعية) ولأن

الأستاذ المؤلف بصدد البحث عن التاريخ الإسلامي في دوره الأول فقد قدم هذه الدراسة على غيرها من الدراسات. وبعد أن بيَّن صعوبة هذه الدراسة لما يجد في سبيلها من عقبات متعددة أخذ في موضوع دراسة فبيَّن نسب عائشة، ومولدها، وتزويجها من النبي ﷺ وما صنعته معه (كامرأة) كما قال شوي: من مكر وكيد «كيدهن عظيم».

وإنها قد أقامت مع النبي نيفًا وثمانية أعوام، ثم أخذ يذكر أنها كانت تؤيد خلفاء النبي (أبي بكر، وعمر، وعثمان) في أول خلافته ثم انحرافها عنه وترأسها للمعارضة له حتى بلغ من أمرها أنها كانت تحرّض على قتله، وما أن قتل هذا الخليفة بسبب خروجه عن نهج سابقيه، وتركه الأمر لقومه يتصرفون فيه بأهوائهم حتى "برزت" تعارض عليًّا معارضة شديدة لم يلق مثلها من غيرها، وكان في أول شئ بدا منها لهذا الإمام العظيم أنها ما كادت تعلم بنبأ بيعته حتى ثارت ثائرتها وصاحت: لا يمكن أن يتم ذلك ! ولو انطبقت هذه - أي السماء على الأرض - ولما لبثت أن ألبت عليه طلحة والزبير وقادوا جميعًا الجيوش الجرارة لمحاربة علي (رضي الله عنه) في وقعة الجمل - وكانت تركب جملًا من المدينة إلى البصرة، وبعد أن انتهيت هذه المعركة بسفك الدماء المحترمة انتهت المعركة بقتل طلحة فأعادها " علي (رضي الله عنه) " إلى المدينة مكرمة لم ينلها سوء، ولكنها لم تحفظ له هذا الجميل، ولم ترجع عن غيها وظلت تعمل ضده بكل وسيلة وكان من ذلك أن كانت تؤيد معاوية في حروبه مع " علي (رضي الله عنه) " ولم تهدأ ثائرتها حتى قُتل علي فقرت عينها، وهدأت نفسها، وتمثلت عند قتله بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قرَّ عينًا بالإياب المسافر

وقد كان ذلك بسبب ضغنها لعلي (رضي الله عنه)، وما يكنه صدرها له لأنه

زوج فاطمة بنت خديجة. وما كان لموقفه من حديث الإفك...

وفي كتاب أرسله إليها وإلى طلحة والزبير أثناء وقعة الجمل، لو أنها عقلته وتدبرته لاشتد ندمها واستغفرت الله مما أجرمت وإن كان الظن أن الله لا يغفر لها.

قال (رضي الله عنه): وأنت يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمرًا كان عنك موضوعًا، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود الجيوش؟ والبروز للرجال؟ والوقع بين أهل القبلة، وسفك الدماء المحترمة؟ ثم إنك على زعمك طلبت دم عثمان، وما أنت وذاك؟ وعثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم؟ إنك بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله: اقتلوا نعثلًا فقد كفر! ثم تطلبين اليوم بدمه! فاتقي الله وارجعي إلى بيتك والبسي عليك سترك والسلام.

هذه لمحة خاطفة مما حواه كتاب (أحاديث عائشة) ولو نحن ذهبنا نبين ما فصَّله هذا العالم المحقّق في كتابه هذا مما أوفى به على الغاية، ولم نر مثله من قبل لغيره لاحتجنا إلى كتاب برأسه.

وإذا كان لا بد من كلمة نختم بها قولنا هذا الموجز فإنا نقول مخلصين: إنه يجب على كل من يريد أن يقف على حقيقة الإسلام في مستهل تاريخه إلى بيعة يزيد فليقرأ كتابي هذا العلامة (عبد الله بن سبأ - وأحاديث عائشة) وليتدبر ما جاء فيهما، فإن فيهما القول الفصل.

أما ما نرجوه من العلامة مؤلفهما فهو أن يغذّ السير في هذا الطريق الذي اختطه حتى يتم ما أخذ نفسه به. والله ندعو أن يكتب له التوفيق، والسداد في عمله، إنه سميع الدعاء... محمود أبو رية القاهرة: عن جيزة الفسطاط ليلة الجمعة ١٨ رمضان المبارك ١٣٨١ ه. الموافق ٢٣ فبراير ١٩٦٢ م».

هذا وإني لما غادرت القاهرة وأتيت إلى سوريا ولبنان وقبل وصولي العراق عَرَّفت فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو رية على جماعة من الأساتذة والعلماء والكتّاب في كل من سوريا ولبنان، والعراق: كالأستاذ صدر الدين شرف الدين، وفضيلة الشيخ محمد جواد مُغْنية، وآية الله الإمام الخوئي، والعلامة الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي، والأستاذ رشيد الصفار.

وقد تبودلت الرسائل بينه وبين السيد صدر الدين شرف الدين وطلب من الشيخ أن يراسله وأرسل له فصولًا من كتابه (شيخ المضيرة) فنشر منه في عدة أعداد من مجلته "مجلة النهج" وتوثقت بينه وبين الشيخ الاتصالات، وتبادلت بينهما الرسائل حتى استطاع الأستاذ صدر الدين أن يقوم بطبع كتابه (شيخ المضيرة) الطبعة الأولى في صور - لبنان.

وكما تبادلت الرسائل بينه وبين الشيخ محمد جواد مُغْنية حول طبع (شيخ المضيرة أبو هريرة) وذلك قبل أن يتم الاتفاق مع السيد صدر الدين شرف الدين. كما تبادلت الرسائل بينه وبين آية الله الخوئي، والأستاذ رشيد الصفار.

وفي ١٢/ ١٠/ ١٩٦٣م تسلمت طردًا من دائرة بريد النجف مُرسِلُه فضيلة الأستاذ "أبو رية" من القاهرة، وفي باطنه ثلاث نسخ من كتاب: (أبو هريرة راوية الإسلام) بقلم العجاج الخطيب الشامي، وقد صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة أعلام العرب إلى الأسواق بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٦٣ وكانت النسخ مهداة لي وللسيد العسكري وللأستاذ رشيد الصفار، لأني كنت همزة وصل وتعريف بينهم.

وفي إحدى رحلاتي إلى القاهرة التقيت بالأستاذ رشيد الصفار فكان يذهب معي إلى منزل الأستاذ الشيخ محمود أبو رية. وكان آية الله الخوئي عندما تصل إليه رسائل الشيخ محمود أبو رية كان يرسل إليّ ويطلعني عليها أو يرسلها لي لأطلع عليها. وفي أحد الأيام جاءني السيد عماد حفيد آية الله

الخوئي وقال: إن جدي يطلب حضورك، وكان عندي جماعة وعندما انصرفوا توجهت إلى دار سماحته، ولما دخلت سلّمت وجلست فتوجه نحوي سماحته وقال: لقد تأخرت علينا في المجيء وأرسلت الرسالة إليك مع فضيلة السيد مرتضى الحكمي. وعند ذلك جلست زمنًا يسيرًا وإذا بفضيلة السيد الحكمي قد دخل علينا، فتوجه إليه آية الله الخوئي وقال: لقد حضر السيد، فأعطه رسالة الشيخ ليطلع عليها فتسلمتها وقرأتها وهذا بعضها: «عزمتُ على وضع كتاب باسم: (أمير المؤمنين علي وما لقي هو وبنوه من أصحاب رسول الله). أولًا: من الثالوث الأول: أبو بكر وعمر وعثمان. ثانيًا: من الثالوث الثاني: عائشة وطلحة والزبير. وثالثة الأثافي: ما صنعه عثمان من تأسيس الدولة الأموية، ثم انتهاء أمر الخلافة إلى سكير خمر عربيد ملعون هو وأبوه وجده. وإني الآن أعكف على قراءة المصادر التي تعينني على ذلك، وكل ما أرجوه أن يوفقني الله إلى أداء هذا العمل على أكمل وجه. محمود أبو ريه القاهرة: ١٢/ ١/ ١٣٨٨هـ».

وفي٥/ ١١/ ٦٩ وصلتني رسالة من الأستاذ "أبو رية" تاريخها ٢٦/ ١٠/ ١٩٦٩ من القاهرة يقول فيها: (كتاب قصة الحديث المحمدي) الذي كانت وزارة الثقافة قد طلبته مني منذ عشر سنين ووقف الأزهر في سبيله حتى لا يظهر قد أراد الله أن يظهر رغم أنف الأزهر بعد ما قرأه الدكتور طه حسين وشهد بقيمته شهادة فائقة، وسأرسل لك نسخةً منه هدية ومعها بعض نسخ لأصدقائنا الأعزاء، ومع كل نسخة بيان مطبوع منا... وفي ٢٠/ ١١/ ١٩٦٩ جاءني البريد ويحمل ملفًا فيه ثلاث نسخ من الكتاب (قصة الحديث المحمدي) إحداها كانت باسمي، والثانية باسم السيد العسكري، والثالثة للأستاذ رشيد الصفار، وفي كل نسخة بيان مطبوع وإليك نصه:

«للحقيقة والتاريخ كان من حق هذا الكتاب (قصة الحديث المحمدي) أن يخرج إلى الناس مطبوعًا منذ أكثر من عشر سنين، ذلك بأن وزارة الثقافة

المصرية كانت قد طلبت منا مختصرًا لكتابنا: (أضواء على السنة المحمدية) عندما ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٨م لتجعله حلقة في سلسلة مكتبتها الثقافية، وقبل نشره عرَضَتْه على الأزهر ليبدي رأيه فيه، وما كاد يقف عليه حتى أرصد له من كيده، فرماه بأن فيه ما يخالف الدين، وطلب عدم نشره وتداوله بين المسلمين، ولم تستطع هذه الوزارة أن تخالف عن أمره لأنه ما يربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وظل هذا الكيد يلاحق الكتاب هذه السنين الطويلة لكي يحول دون نشره بين الناس، إلى أن عَلِم أخيرًا بالأمر نصير الدين والفكر الدكتور طه حسين طلب أصول الكتاب من وزارة الثقافة، ولما اطلع عليه أعاده علينا مع خطاب، دحض فيه ما رماه الأزهر به. وصرّح في جلاء أنه موافق للدين كل الموافقة لا يخالفه ولا ينبو عنه في شئ مطلقًا. وأنه مفيد فائدة كبيرة جدًّا في علم الحديث... وأن في نشره الخير كلّ الخير، والنفع كل النفع. وبذلك انحسم الأمر، وحصحص الحق، واتخذ الكتاب سبيله إلى الناس مطبوعًا لينتفعوا به.

ولأهمية خطاب الدكتور طه حسين نشرنا صورته على غلاف الكتاب، تبصرة لأولي الألباب. محمود أبو ريه ١٣/ ١٠/ ١٩٦٩». انتهى كلام مرتضى الرضوي.

ثم ساق نص خطاب طه حسين.

قلت: ومع ثناء طه حسين عليه هنا وتقديمه لكتابه إلا أنه كان أكثر ورعًا من أبي رية وأكثر إنصافًا، فقد كتب مقالًا في جريدة الجمهورية (٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٨) ينتقد فيه أبا رية ويذكر ضعف إنصافه في البحث، واستخدامه لغة لا تليق بلغة العلم، واعتماده على روايات لا يُعرف ثبوتها... وغير ذلك. ساق ملخّص المقال زكريا علي يوسف في كتابخ «دفاع عن الحديث النبوي» (ص١١٣- ١١٥).

* **طبعات الكتاب:**

طبع الكتاب سنة ١٣٧٨هـ في حياة مؤلفه في المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة، لمحب الدين الخطيب في ٣٢٠ صفحة. وهي طبعة جيدة قليلة الخطأ.

ثم توالت الطبعات تصويرًا عن الطبعة السلفية؛ فطبع في حديث أكاديمي بباكستان سنة ١٣٧٨هـ. وطبع في عالم الكتب ببيروت سنة ١٤٠٣هـ، وطبع في المكتب الإسلامي ببيروت سنة ١٤٠٥هـ.

* **مخطوطات الكتاب:**

الكتاب له إخراجان: مسوَّدة ومبيّضة.

١- المبيّضة:

لم نقف عليها، وهي التي طبع عنها الكتاب أوّل مرّة، فالظاهر أن المؤلف أرسلها إلى المطبعة السلفية بمصر لصاحبها محبّ الدين الخطيب لإعداد الكتاب للطبع، وبقيت هناك ولم تُعَد إلى المؤلف ولا إلى الشيخ نصيف الذي سعى في طباعته، فالله أعلم أين استقرّ قرارُها، وهل بقيت محفوظة أو جارت عليها صروف الدهر؟

وعدد أوراق النسخة المبيّضة ٢٢٤ صفحة. بحسب ما جاء في هوامش الطبعة الأولى؛ إذ حافظوا على وضع أرقام صفحاته على طُرَر المطبوعة، وكتبَ الناشرُ تنبيهًا بخصوص ذلك قال: «تنبيه: يوجد في أثناء هذا الكتاب إحالات على ما تقدّم منه أو تأخّر بقيد الصفحات، والمعتبر في ذلك صفحات الأصل الذي بخط المؤلف. وهي التي أشير إليها في هامش هذا المطبوع».

٢- المسوّدة:

وُجِد منها أربعة دفاتر فقط في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم (٤٦٦٤)، وهي من الدفاتر المدرسية العادية المعروفة في ذلك الوقت وما بعده، الأول ٦٠ورقة، والثاني ٤٠ ورقة، والثالث والرابع ٢٠ورقة. ووصفها كالتالي:

الدفتر الأول: يقع في ٧٨ صفحة بخط الشيخ المعلمي وترقيمه، سقط منها صفحتان: ٢-٣ . وتبدأ بمقدمة الردّ، وهي متوافقة تمامًا مع المبيضة التي طبع عنها الكتاب، وهي كثيرة الضرب والتخريج واللحق على عادة الشيخ في مسوّداته. وما أبقى عليه من الكلام موافق لما في المبيضّة، فهذا يدلّ أن هذه المسوّدة هي التي انتسخ منها الشيخ مبيضته، وليس من مسوّدةٍ أخرى. أقول هذا لأن المصنِّف ربما كتب عدّة مسوّدات للكتاب الواحد. لكن تبقى مواضع مضروب عليها وليس تحتها عبارات أخرى، فلعل الشيخ كتب في المبيّضة كلامًا مستأنفًا لم يثبته في المسوّدة، أو كان في جُزازات مُلحقة بالمسوّدة ولم تصل إلينا. وعبارات أخرى غير مضروب عليها ولا وجود لها في المبيّضة ـ على أني لم أقابل جميع المسودة ـ. وينتهي هذا الدفتر عند الكلام على كلام الغزالي وفهم رشيد رضا له، وهو في (ص١٧) من المبيّضة.

الدفتر الثاني: ٥٤ صفحة بترقيم المؤلف. ويبدأ بنقل كلام أبي رية عن الإسرائيليات في ص١٢٤ من كتابه، وهو في المبيّضة في (ص٨٦) وينتهي في نقاش أبي رية في حديث خلق التربة يوم السبت وهو في (ص١٣٩) من المبيّضة.

الدفتر الثالث: ١٠ صفحات

الدفتر الرابع: ٢٤ صفحة.

وهذان الدفتران فيهما ثلاث قطع عبارة عن ملاحظات على كتاب أبي رية وتحليل لكتابه وغرضه منه، والأهم فيها أنها تبين كيف وقف الشيخ على كتاب أبي رية ورد الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة عليه، وأنه كان بصدد كتابة تقديم له، لكن تبين له أنه يحتاج إلى ردّ مستقل...

القطعة الأولى في الدفتر الأول غالبها في موضوع كتابة الحديث والكلام على حديث «**من كذب علي متعمّدًا**». والدفتر الثاني فيه قطعتان، الأولى في ٢٠ص، والثانية في ٤ص ومسائلها لا تتعدى مباحث الحديث النبوي وما يتعلّق بها.

ثم وجدنا فيما عثرنا عليه أخيرًا من كتب الشيخ ثلاثة دفاتر من المسوّدة، وهي الكراسات ذوات الأرقام (١ و٤ و٩) ولا يختلف وصفها عن سابقتها. ومع ذلك لا تمثّل هذه المسوّدات كامل الكتاب بل مواضع متفرّقة منه.

*** منهج التحقيق:**

نذكر هنا ما يتعلق بهذا الكتاب بخصوصه؛ إذ الأطر العامة لتحقيق كتب العلامة عبد الرحمن المعلمي لا تختلف، وقد شَرَحْتُها في مقدمة هذا المشروع.

اعتمدت في إثبات نص الكتاب على الطبعة الأولى التي نُشِرت عن المكتبة السلفية سنة ١٣٧٨هـ في حياة المؤلف رحمه الله، وهم اعتمدوا على النسخة المبيّضة بخط الشيخ كما بينوه في أول طبعتهم، وسبق عند

الكلام على مخطوطات الكتاب أننا لم نقف على هذه النسخة، ولم يقع لنا إلا دفاتر من مسوّدة الكتاب، لا تمثّل في مجموعها ثلث الكتاب.

والحقّ أن تلك الطبعة جيّدة قليلة الخطأ، وقد أصلحتُ ما وقع فيها من أخطاء وتحريفات غالبًا في متن الكتاب مع التنبيه عليه في الحاشية، وأشرتُ إليها بـ (ط)، وقد أضع الإصلاح بين معكوفتين [] مكتفيًا بذلك. وأبقيتُ ما لم أهتد إلى صوابه كما هو مع بيان موضع الإشكال، وهذا نادر. وكذلك النقول التي نقلها الشيخ واستشكلها[١] أبقيتها مع تصويبها في الحاشية. وقد بحثت عن النسخة المطبوعة الخاصة بالمؤلف في مكتبة الحرم على أمل أن أقف على تصحيح أو إضافة، فلم أظفر بطائل!

أما المصادر التي نقل الشيخ عنها أو أحال إليها فإني ألتزم بالرجوع إلى نصوصها، فإن كانت النسخة التي رجعتُ إليها هي نسخة الشيخ نفسها لم أعلق بشيء، وإن اختلفت ذكرتُ الجزء والصفحة منها في الهامش مع بيان الطبعة.

والنصوص التي نقلها الشيخ من كتاب أبي رية قابلتها بالطبعة التي وقفتُ عليها وهي السادسة، فوجدت أبا ريّة قد غيّر فيها بالحذف والتهذيب وربما الإضافة، فأشرت إلى ذلك، أما ما كان في نصوصه بين معكوفين [] فهي من إصلاح الشيخ رحمه الله. وقد جعلت نصوص أبي رية بخط أصغر مسوّد بين هلالين ( ) تمييزًا له عن كلام المؤلف، وجعلتُ بداية رد الشيخ «**أقول**» بخط أسود هكذا.

---

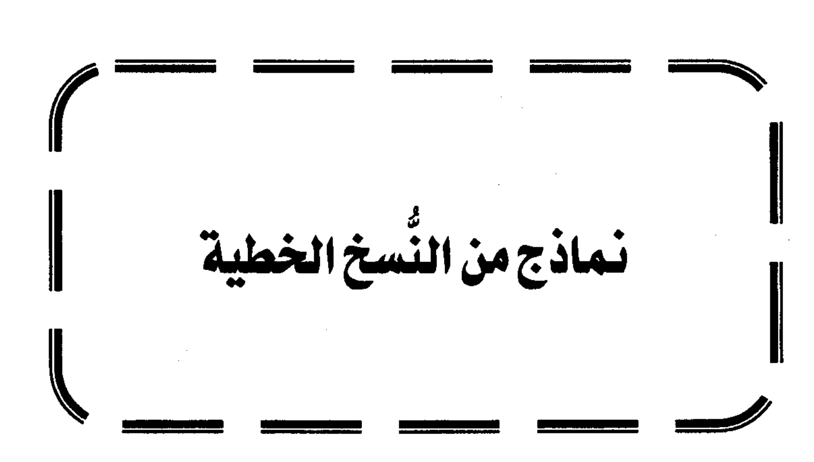
(١) إذا استشكل الشيخ نصًّا أو كلمة فغالبًا ما يشير إلى ذلك بوضع علامة استفهام بعدها بين هلالين هكذا (؟).

حافظتُ على إثبات أرقام صفحات نسخة الشيخ المبيّضة في هوامش النسخة رغم عدم وقوفي عليها؛ على أمل العثور عليها يومًا من الدهر، لأنّ المؤلف كان كثير الإحالة على نسخته لما تقدّم أو يأتي من المباحث، فما أحاله الشيخ عليها بيّنتُ في الهامش مكانه من طبعتنا.

وأخيرًا أثبتّ في آخر الكتاب ملحقين الأول في ١٣ صفحة والثاني في ٢٥ صفحة. فيهما بيان كيف وقف المؤلف على كتاب أبي رية، وما الدافع له على تأليف كتابه هذا، ونقاش جُمليّ لبعض قضاياه.

وختمنا الكتاب بفهارس للآيات والأحاديث والآثار والأعلام والشعر والكتب، قام بصنعها الشيخ زاهر بالفقيه وفقه الله. والحمد لله حق حمده.




نماذج من النُّسخ الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدِّم كتابي هذا الى أهل العلم وطالبيه الراغبين فى الحق المؤثرين له على كل ماسواه ، سائلا الله تعالى أن ينفعنى وإياهم بما فيه من الحق ، ويقينى وإياهم شر ما فيه من باطل حكيته عن غيرى أو زلل منى ، فان حظى من العلم زهيد ، وكان جمعى للكتاب على استعجال مع اشتغالى بغيره ، فلم أكثر من مراجعة ما فى متناولى من مؤلفات أهل العلم ، ولا ظفرت ببعضها ، ومنها ما هو من مصادر الكتاب المردود عليه « أضواء على السنة »

وقد سبقنى إلى الردّ عليه فضيلة الاستاذ العلاّمة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة مدير دار الحديث بمكة المكرمة والمدرس بالحرم الشريف ، واستفدت من كتابه ، جزاه الله خيرا

ولفضيلة السلفى الجليل المحسن الشهير نصير السنة الشيخ محمد نصيف اليد الطولى فى استحثاثى لإكمال الكتاب ، وإمدادى بالمراجع . وكذلك للأخ الفاضل البحاثة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع عضو مجلس الشورى ومدير مكتبة الحرم المكى ، فانه أمدنى ببعض المراجع من مكتبته الخاصة النفيسة ، وبالمراجعة والبحث عن بعض النصوص . شكر الله سعيهم وأجزل أجرهم . ورجائى ممن يطالع كتابى هذا من أهل العلم أن يكتب إلىّ بما عنده من ملاحظات واستدراكات ، لأراعيها أنا - أو من شاء الله تعالى - عند إعادة طبع الكتاب إن شاء الله تعالى . وفقنا الله جميعا لما يحب ويرضى .

المؤلف

غرة شهر رجب سنة ١٣٧٨

عبد الرحمن بن يحيي المعلمي

الصفحة الأولى من الطبعة الأولى

ما حفظ ، ومحاولة حطه عن درجته . راجع ص ١٤ ـ ٥٠

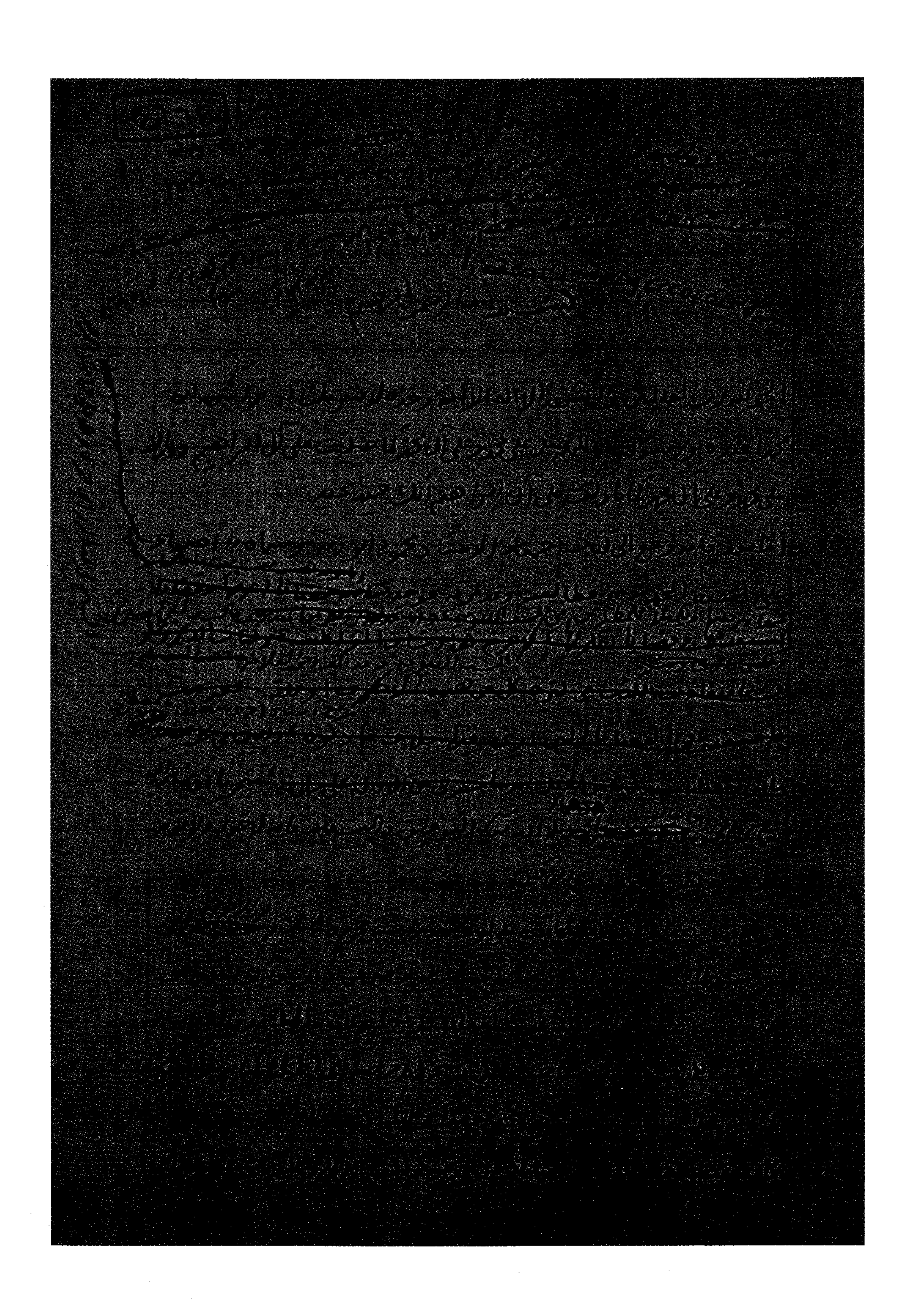
ثم قال أبو رية « قال الإمام أبو حنيفة : ردّى على كل رجل يحدّث عن النبي ﷺ بخلاف القرآن ليس ردا على نبي الله ﷺ ولا تكذيبا اه ، ولكنه رد على من يحدّث عنه بالباطل ، والتهمة دخلت عليه ، ليس على نبي الله ﷺ ، وكل شيء تكلم به النبي ﷺ فعلى الرأس والعين ، قد آمنا به وشهدنا أنه كما قال ، ونشهد أنه لم يأمر بشيء يخالف أمر الله ، ولم / يبتدع ولم يتقول غير ما قاله ٢٢٤
الله ولو كان من المتكلفين »

أقول : هذه العبارة من كتاب العالم والمتعلم ، وفى نسبته إلى أبى حنيفة ما فيها ، والكلام هناك فى مسائل اعتقادية ومخالفه يراها مناقضة . فأما تبيين السنة للقرآن بما فيه التفصيل والتخصيص والتقييد ونحوها (كما مر ص ١٤ و ٢١٨) فثابت عند الحنفية وغيرهم ، سوى خلاف يسير يتضمنه تفصيل مذكور فى أصولهم يتوقف فهمه على تدبر عباراتهم ومعرفة اصطلاحاتهم . وبعض مخالفيهم يقول إنهم أنفسهم قد خالفوا ما انفردوا به هناك فى كثير من فروعهم ووافقوا الجمهور . بل زاد الحنفية على الشافعية فقالوا إن السنة المتواترة تنسخ القرآن ، وإن الحديث المشهور أيضا ينسخ القرآن . وكثير من الأحاديث التى يطعن فيها أبو رية هى على اصطلاح الحنفية مشهورة

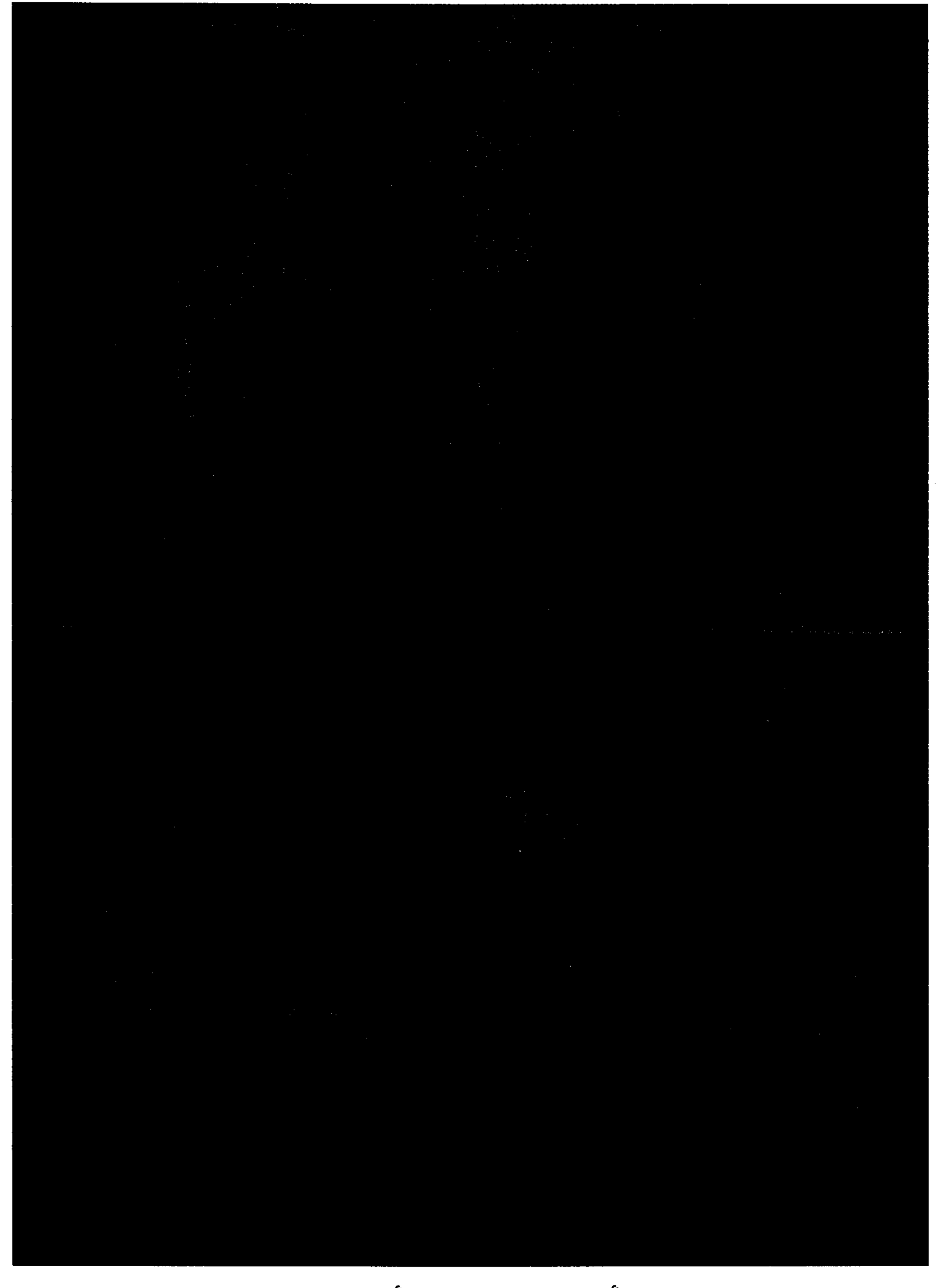
ثم ختم أبو رية كتابه بنحو ما ابتدأه من إطرائه وتقديمه إلى المثقفين ، والبذاءة على علماء الدين ، ثم الدعاء والثناء . وأنا لا أثنى على كتابى ، ولا أبرىء نفسى ، بل أكل الأمر إلى الله تبارك وتعالى ، فهو حسبى ونعم الوكيل . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على خاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه

انتهى بعون الله تعالى جمع هذا الكتاب فى أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨
والحمد لله رب العالمين

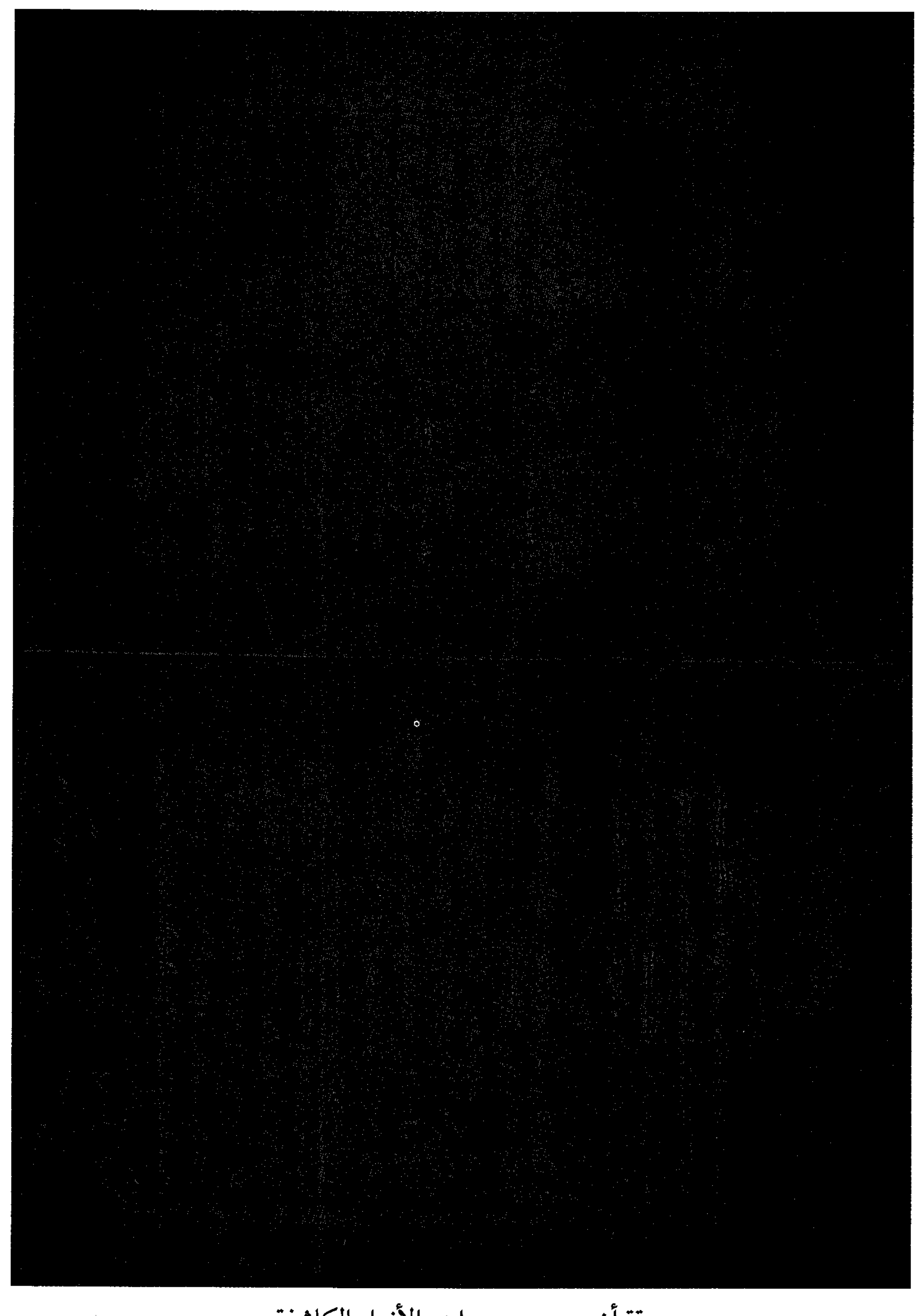
الصفحة الأخيرة من الطبعة الأولى



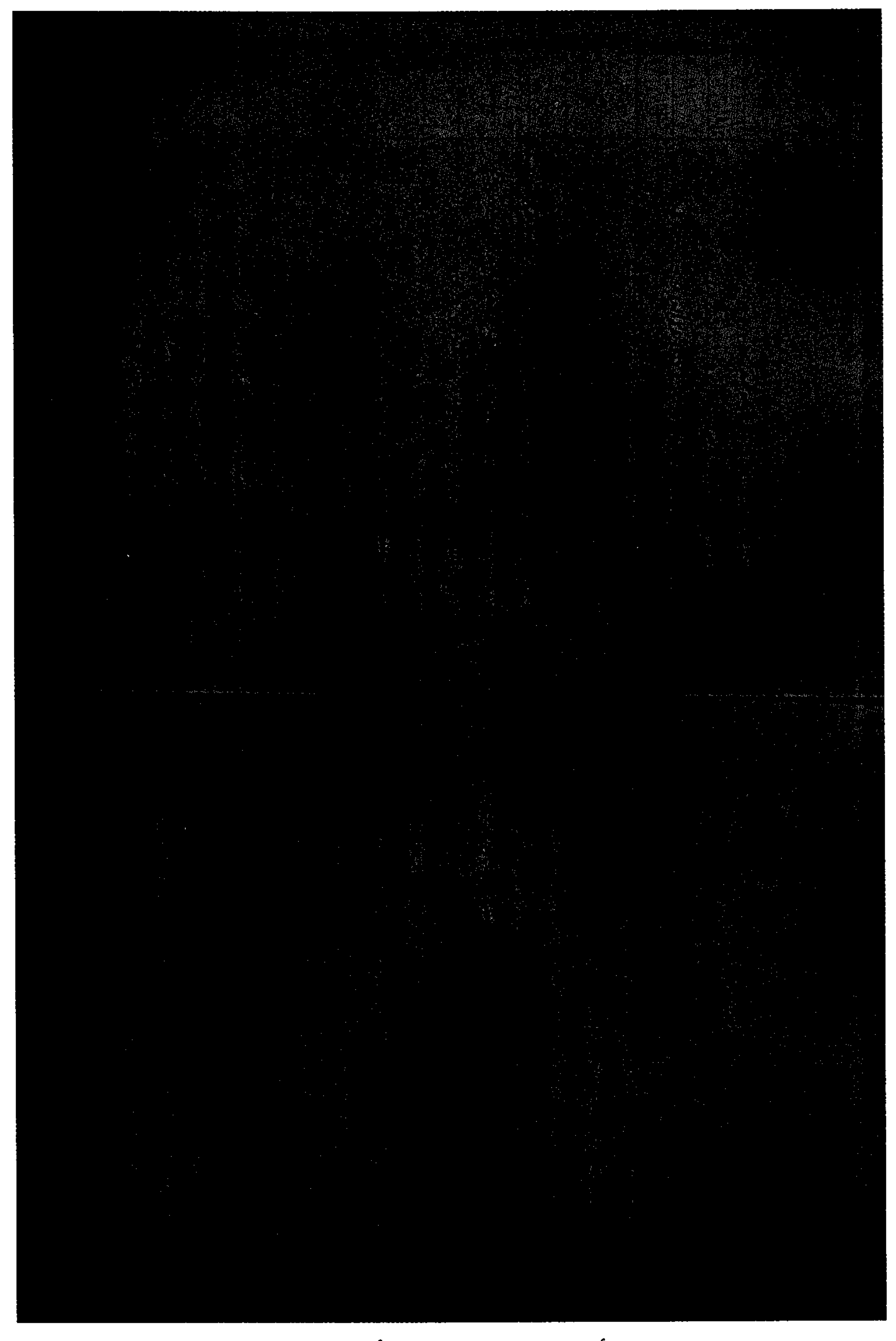
ورقة من مسودات «الأنوار الكاشفة»



ورقة أخرى من مسودات«الأنوار الكاشفة»



ورقة أخرى من مسودات «الأنوار الكاشفة»



ورقة أخرى من مسودات «الأنوار الكاشفة»